أسباب ظاهرة تعدد ألقاب

الإمام الكاظم عليه السلام

الموضوع: أسباب ظاهرة تعدد القاب الإمام الكاظم عليه السلام

سؤال: ما هي الحكمة من تعدد ألقابه وصفاته عليه السلام ؟

الجواب:

هذه الألقاب دالة على بعض مظاهر شخصيته، وجملة من جوانب عظمته، كما سيتضح من خلال طيات بحثنا ...ومن تلك الصفات والالقاب:

أولا: العبد الصالح او راهب بني هاشم

ولقب بالعبد الصالح لعبادته، واجتهاده في الطاعة، حتى صار مضرب المثل في عبادته على ممرّ العصور والأجيال وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث فكان الراوي عنه يقول: حدثني «العبد الصالح» .

ومن عوامل ظهور هذا اللقب

١.نشأ الإمام موسى عليه السلام في بيت القداسة والتقوى، وترعرع في معهد العبادة والطاعة.

٢.ورث من آبائه حب الله والإيمان به والإخلاص له فقد قدموا نفوسهم قرابين في سبيله.

ولذا حدّث المؤرخون أنه كان أعبد أهل زمانه حتى لقّب بالعبد الصالح، وبزين المجتهدين إذ لم تر عين إنسان نظيراً له قط في الطاعة والعبادة.

نموذج من مظاهر طاعته وعبادته:

صلاته عليه السلام :

إنّ أجمل الساعات وأثمنها عند الإمام عليه السلام هي الساعات التي يخلو بها مع الله عزّ اسمه فكان يقبل عليه بجميع مشاعره وعواطفه وقد ورد : أنه إذا وقف بين يدي الله تعالى مصلّياً أو مناجياً أو داعياً أرسل ما في عينيه من دموع، وخفق قلبه، واضطرب موجدة وخوفاً منه، وقد شغل أغلب أوقاته في الصلاة ... ولمّا أودعه طاغية زمانه الملك هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرغ للطاعة والعبادة حتى بهر بذلك العقول وحير الألباب، فقد شكر الله على تفرغه لطاعته قائلاً: « اللّهم إنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهمّ وقد فعلت فلك الحمد» (١).

لقد ضرب الإمام المثل الأعلى للعبادة فلم يضارعه أحد في طاعته وإقباله على الله، فقد هامت نفسه بحبه تعالى، وانطبع في قلبه الإيمان العميق.

سجوده عليه السلام

وحدّث الشيباني عن مدى عبادته، فقال: كانت لأبي الحسن موسى عليه السلام في بضع عشر سنة سجدة في كل يوم بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال، وقد اعترف عدوه هارون الرشيد بأنه المثل الأعلى للإنابة والإيمان، وذلك حينما أودعه في سجن الربيع فكان يطل من أعلى القصر فيرى ثوباً مطروحاً في مكان

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي، ج ٨٣ ، ص ٣٦٤.

خاص من البيت لم يتغير عن موضعه فيتعجب من ذلك ويقول للربيع: « ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع» ؟ !

يا أمير المؤمنين: ما ذاك بثوب، وإنما هو موسى بن جعفر، له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

فبهر هارون وانطلق يبدي إعجابه.

أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم!!

والتفت إليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بزهد الإمام وعزوفه عن الدنيا طالباً أن يطلق سراحه ولا يضيّق عليه قائلاً: يا أمير المؤمنين: ما لك قد ضيّقت عليه في الحبس!!؟

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من عدم الرحمة والرأفة قائلاً:« هيهات: لابد من ذلك!» (٢).

كاظم الغيظ

وكان الحلم من أبرز صفات الإمام موسى عليه السلام فقد كان مضرب المثل في حلمه وكظمه للغيظ، وكان يعفو عمن أساء إليه، ويصفح عمن اعتدى عليه، ولم يكتف بذلك وإنما كان يحسن لهم ويغدق عليهم بالمعروف ليمحو بذلك روح الشر والأنانية من نفوسهم.

---

(٢) المصدر، ج ٤٨، ص ٢٢٠، ح ٢٤.

ومن نماذج تلك الصفة حادثة صاحب البستان العمري

وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة من حلمه فقد رووا: أن شخصاً من أحفاد عمر بن الخطاب كان يسيء للإمام، ويكيل السب والشتم لجده أمير المؤمنين عليه السلام فأراد بعض شيعة الإمام اغتياله فنهاهم عليه السلام عن ذلك ورأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل: أنه يزرع في بعض نواحي المدينة، فركب عليه السلام بغلته ومضى إليه متنكراً، فوجده في مزرعته فأقبل نحوه، فصاح به: لا تطأ زرعنا واستمر الإمام حتى وصل إليه، ولمّا انتهى إليه جلس إلى جنبه وأخذ يلاطفه ويحدّثه بأطيب الحديث، وقال له بلطف ولين:

كم غرمت في زرعك هذا؟

مئة دينار.

كم ترجو أن تصيب منه؟

أنا لا أعلم الغيب!!

إنما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟

أرجو أن يجيئني منه مئتا دينار.

فأعطاه عليه السلام ثلاثمئة دينار، وقال: هذه لك وزرعك على حاله، فتغير العمري وخجل من نفسه على ما فرط من قبل في حق الإمام، وتركه عليه السلام ومضى إلى الجامع النبوي، فوجد العمري قد سبقه، فلما رأى الإمام مقبلاً قام إليه تكريماً وانطلق يهتف: {اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام/ ١٢٤].

فبادر إليه أصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب، فأخذ يخاصمهم، ويتلو عليهم مناقب الإمام ومآثره، ويدعو له، فالتفت عليه السلام إلى أصحابه قائلاً: أيّما كان خيراً؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟(٣)

باب الحوائج

وهذا أكثر ألقابه ذكراً، وأشهرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد اشتهر بين العام والخاص أنه ما قصده مكروب أو حزين إلا فرّج الله آلامه وأحزانه وما استجار أحد بضريحه المقدس إلا قضيت حوائجه، ورجع إلى أهله مثلوج القلب مستريح الفكر مما ألم به من طوارق الزمن وفجائع الأيام، وقد آمن بذلك جمهور شيعته بل عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم، فهذا شيخ الحنابلة وعميدهم الروحي أبو علي الخلال يقول: «ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر إلا سهّل الله تعالى لي ما أحب» (٤).

وقال الإمام الشافعي: «قبر موسى الكاظم الترياق المجرَّب» (٥).

لقد كان الإمام موسى في حياته مفزعاً وملجأ لعموم المسلمين وكذلك كان بعد وفاته حصناً منيعاً لمن استجار به.

نماذج لهذا اللقب:

---

(٣) تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ج ١٣، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٤) المصدر، ج ١، ص ١٣٣.

(٥) المصدر، ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد بالجانب الغربي.

أولا: امرأة يطلق سراح ابنها

قال ابن شهر آشوب في مناقبه: رؤي في بغداد امرأة تهرول فقيل: إلى أين؟ قالت: إلى موسى بن جعفر فإنّه حُبس ابني، فقال لها حنبلي: إنّه قد مات في الحبس، فقالت: بحقّ المقتول في الحبس أن تريني القدرة، فإذا بابنها قد أطلق وأُخذ ابن المستهزئ بجنايته(٦).

ثانيا: شفاء بنت الشيخ احمد الوائلي رحمه الله

يقول سماحته: كانت ابنتي الكبيرة وهي آنذاك في حدود الثانية عشرة تكنس ساحة البيت، وهناك استكان شاي مكسور وقد لصق بأرض البيت، فحاولت قلعه فانكسر ووقعت منه شظيّة بعينها، ففركت عينها وهي لا تدري بالشظيّة، فتمزّق إنسان العين.

وعلى الفور استحصلنا إذناً بالسفر إلى بغداد، وأدخلتها مستشفىً للعيون في شارع الرشيد للدكتور وهرام أراثون وهو أرمني فعقد لجنة واستخرجوا الشظيّة من عينها، ثمّ أخبروني بأنّهم لا يستطيعون شيئاً سوى إجراء عملية لحفظ العين من التشويه الخارجي، أمّا الرؤية فلا تعود؛ لأنّ العين تمزّقت، وأكّدوا لي بأنّه حتّى في الخارج لا يستطيعون أكثر من ذلك. فوقّعتُ على إجراء العمليّة، وأدخلوا البنت إلى غرفة العمليّة.

---

(٦) بحار الأنوار، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي، ج ٩٩، ص ١، ح١.

وفي الأثناء.. خطر بذهني: إنّنا نقول للناس بأنّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله لهم معجزات، وإنّ لهم عند الله جاهاً عظيماً، فلِمَ لا أقصد موسى بن جعفر عليه السّلام حتّى أعرف صدق دعوانا؟ فتوضّأت وقصدت الإمام، وفي أثناء الطريق كنت أقول: ما ذنب هذه الطفلة من دون سائر البنات! ثمّ استغفرتُ الله تعالى ولعنت هذه الخطرات، وقصدت فوراً ضريح عليه السلام، فصلّيت ركعتين ووقفت عند الرأس الشريف، وقلت له: هذه صبيّة، وأنا خادمكم ومحسوب عليكم. وخرجت وعدت للمستشفى وقد اُخرجت البنت من العملية.

ومكثنا نراقبها سبعة أيّام لئلاّ تغيّر وضعيّة نومها، وفي اليوم السابع جاء الطبيب ليفتح العين ويجدّد الضماد، ولّما فتح الضماد وقف ساكناً، وقال: ماذا صنعت؟ فظننت أنّه يوبّخنا لأنّا أهملنا مراقبتها، ولكنّه قال: إنّ العين فيها نور، وسوف تعود لها وضعيّتها الطبيعيّة. فانفجرتُ باكياً، وقلت له: لقد طرقت باباً من أبواب الله فأكرمني. وحكيت له القصّة فقال: آمنت بالله تعالى.

وبعد أُسبوع خرجَتْ من المستشفى وهي بعافية.

وللشيخ ابيات شعرية بهذه المناسبة(٧)

لِقُدسِك يا بابَ الحوائج بابُ جَثَتْ عنده للطالبين رِغابُ
يمرّ عليه المستحيلُ فينثني إلى مُمكنٍ يُدعى به فيُجابُ
مناهل ريّا عند باب ابن جعفرٍ تفيض عطاءً للذين أنابوا

(٧) ديوان إيقاع الفكر.

مصيبة الإمام الكاظم عليه السلام

ومن جملة معاجزه عليه السلام ما أخبر به من المغيّبات هي إخبار علي بن سويد وهو من خواص الإمام عليه السلام وقد قدّم مالا الى الحراس ووصل الى الإمام ليلا والإمام سأله: ما الذي جاء بك؟

قال: ان الشوق حملني إليك.

ثم قال: سيدي متى الفرج لقد ضاقت صدورنا؟ فقال له عليه السلام : الفرج قريب يا بن سويد.

قال بن سويد متى سيدي؟

فقال عليه السلام: يوم الجمعة ضحىً على الجسر ببغداد.

يقول ابن سويد: كدت أطير فرحاً وأخبرت أصحابنا: البشارة البشارة سيخرج موسى بن جعفر عليه السلام ، اجتمعنا على الجسر ،يا لهول المفاجأة فبينا نحن بالانتظار وإذا بجنازة يحملها اربعة من السجانين ... ثلاثة من الخلف وواحد من الرأس نعم الثلاثة من الخلف لثقل السلاسل والأغلال التي وضعوها في رجليه عليه السلام اقبلوا به وضعوه على الارض وكشفوا عن وجه.

ثم صار السندي « رئيس السجن » ينادي عليْه: هذا إمام الرافضة قد مات حتف انفه فانظروا اليه فجعل الناس يتفرسون في وجه .

يقول علي بن سويد: جئت لأنظر اليه وإذا به سيدي ومولاي موسى بن جعفر عليه السلام فلطمت وجهي وصحت: وا اماماه واسيداه واكاظماه!

اخذ علي بن سويد بالبكاء والنحيب عند رأس الإمام عليه السلام فبينما هو كذلك اذ مرّ طبيب نصراني كانت بينهما صحبة فقال له بن سويد: اقسمت عليك بالمسيح الا ما رأيت سبب موت هذا المسجى؟ فقال: اكشفلي عن باطن كفه فكشف له عن باطن كف الإمام عليه السلام فاخذ ينظر فيها ويهز راسه.

فقال بن سويد أخبرني ما رايت؟ قال: يا بن سويد هل لهذا الرجل من عشيرة؟ فقال بلى هذا موسى بن جعفر سيد بني هاشم! عندئذٍ قال له الطبيب: يا بن سويد ابعث الى اهله فليحضروا وليطلبوا بدمه فانه مات مسموما.

ويـل قلبي عـالـذي امســى وحيـد
بـالحبس مســموم وبســم الرشــيـد
عـالجسر جـابوه وبرجلـه الحـديـد
بـالعبـا ملفـوف مســلوب الـثيـاب
ألف يـا حيف ألف أكثر وســافـه
يظل نعشــك على جسر الرصــافة

وطبيـب أكلـب جفـك وشـــافـه

يـكـول ولا عشـــيرة لهـذا تـظـهـر

بعد ذلك هرول الناس الى حمل الجنازة وتجمهر الناس للتشييع ...وبالتالي دفن بعزٍ واحترام ... ما سلبوا جنازته ما داسته الخيل بحوافرها!

لكن حر قلبي لغريب كربلاء ابي عبد الله الحسين عليه السلام بقي على وجه التراب جثة بلا راس الدماء تسيل من نحره تصهره الشمس بحرارتها قد رضوا صدره وظهره بحوافر الخيل !

نظرت اليه اخته العلياء زينب عليها السلام يوم الحادي عشر من المحرم بهذه الحالة حنت وبكت وصاحت: اخي اودعتك الله السميع العليم يا ابن أم.

ودعتـك الله يـا غـريـب الـغـاضريـة

عنك مشيت وجثتك ظلت رميه

غصـــباً عليَّ أنظرك من غير تغســيل

ودي أغســـل جثتـك وي العليـل

واجمع عظام الكسر ــوها بحافر الخيل

لكن شـــبيدي يا حبيب الهاشــمية

مـا غمضـــتْ عينـهُ أيـدي أحبتِـهِ

ولا جـنـازتُـهُ شـــيـلـتْ بـتـوقـيرِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على محمد واله